صوت المرأة المسلمة

العدد : ٢٠٥ الموافق في شعبان ١٤١٩ هجري ١ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : انهضوا بالرجال والنساء معاً !	بقلم : أ. عدنان

شاركت في مؤتمر ضم عدداً من المهتمين بمستقبل ثقافة المسلمين في الغرب. وكان موضوع النقاش منصبا حول " مخطط العمل الثقافي للمسلمين في الغرب"وخلال الحوار أشرت إلى مسألة يقلقني تكرارها في الوسط الإسلامي، وكان من جملة ما ذكرت :

- لقد لفت انتباهي في مخطط النهوض بثقافة الجاليات المسلمة في الغرب كون المخطط يتحدث بإسهاب عن النهوض بالمرأة المسلمة وبالأجيال التي نشأت في الغرب ، ولم أعثر على عنوان بارز يتحدث عن النهوض بالرجل المسلم ، وتساءلت :
- ألا ترون أن كثيراً من مشكلاتنا الثقافية يقف خلفها نوعية الرجال ؛ سواء كانوا متدينين أم مسرفين على أنفسهم ؟!
- أم أن الرجل قد ثقافيا وتجاوز ما يرمي إليه مخطط النهوض الثقافي بالمسلمين ، ولذلك لم يرد ذكره ؟!

وجاء رد عجيب غريب : ألا ترى أن الرجال هم الذين وضعوا هذا المخطط، وأنهم هم الذين يناقشونه في هذا اللقاء ؟! ماذا تريد أكثر من هذا ؟!

فقلت في معرض بيان رأيي : لقد ذكرتني بقصة طريفة جرت معي يوم زرت قطراً عربياً ، ففي لقاء جمعني بكوكبة من المهتمين بالدعوة الإسلامية ، وكان من بينهم أساتذة وأطباء ومهندسون ، قلت للحاضرين : لقد سرني منظر اللباس المحتشم لفتيات المدارس ، حيث أن نسبة عالية منهن يلبسن ما نسميه " الحجاب " - وأعني الشروط الواجب توفرها من غير اعتبار للون الثوب وكيفية تفصيله -

وهذا يجعلني أسأله ما هو مخططكم للعناية بالإناث ؟

فقال كبير الإخوة مكانة : عندنا مخططات ، ونسأل الله التوفيق للعمل.

فانبرى أحد الإخوة - وهو طبيب - قائلاً : هذا جواب سياسي ، ويجب أن نقول الحقيقة ، فنحن يا أخي نقرأ نيابة عن نسائنا ، ونفكر ونقرر في شؤونهن ، وإذا اعترضت علينا إحداهن اتهمناها بألوان التهم التي تحاصرها وتعيدها إلى الحجم الذي نريد ، فإذا أبت كان الفراق .

وبعد أن سقت هذه القصة قلت : إن الرجل والمرأة جناحا المجتمع ، وينبغي أن يكون كل جناح قوياً سليماً إذا أردنا أن يحلق المجتمع في سماء العزة والكرامة ، وإنه لغريب أن نتحدث عن الشأن الثقافي في

غياب المشاركة النسائية .

❋ ❋ ❋

لقد ذكرت هذه القصة التي تتكرر حقيقتها في مواقع كثيرة على امتداد ساحات العمل الإسلامي الذي يرفع لواء التجديد ، ويروم إنهاض الأمة من عثراتها.

وأنا لا أقلل من الجهود المبذولة في تطوير ثقافة المسلمين وتخليصها من شوائب عصور التخلف ، أو شوائب عصر الانبهار الذي نعيش أيامه ، ولا أغمز بالإنجازات التي تحققت على مستوى الفكر والممارسة ، ولكنني أقرر - وأنا حزين القلب - أن النتائج لم تكن في مستوى الجهود والأوقات ، وأن الحديث عن النهوض بالمرأة المسلمة يحتاج إلى إعادة النظر في المضمون وفي الوسائل .

ويلوح لي أن هناك قضيتين تحتاجان إلى تركيز الاهتمام :

الأولى : أن نحرر الرجل المسلم من هيمنة مفاهيم البيئة التي تفرض تأويلها على النصوص ، وهذا يتطلب :

١- تحديد منهج علمي يرفع مستوى تعامل المسلم مع كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- التأكيد على الاستمرار في تنمية المعارف الإسلامية والحياتية ، لأن كثيراً من المسلمين يبذلون جهداً للفهم في مرحلة معينة ، ثم يتوقفون ويقضون سنوات وسنوات وهم يعملون في حدود ما فهموه من قبل .

وتنمية المعارف تتطلب أن يعدد المسلم مصادر معرفته ، وبخاصة في المجالات الاجتهادية ، فقديماً قيل : إذا أردت أن تعرف مكانة شيخك العلمية ، فاجلس إلى غيره ، عندئذ تزداد معرفة وتنمو قدرتك على التمييز والاختيار .

الثانية : أن نحرر المرأة المسلمة أيضا من سيطرة المفاهيم الغريبة عن الإسلام ، والتي تقعد بها عن إدراك المتغيرات ، وتنأى بها عن بذل الجهد الذي يزيدها بصيرة وقدرة على ارتياد مجالات متعددة في العمل الإيجابي المثمر .

وما ذكرته آنفاً بخصوص الرجل المسلم ينطبق على المرأة المسلمة ، مع ملاحظة لطيفة تقول : إن على المرأة أن تأخذ حقوقها بقوة ، فالحقوق إذا ضاعت تنتزع ، وما لم تملك المرأة المسلمة القدرة على إثبات وجودها الفكري والثقافي والإداري والتنظيمي ... إلخ ، فإن كل حديث عن النهوض بالمرأة لن

يسفر عن خطوة إيجابية في الواقع ، ولا يخفى أن التوعية تهيء الفرص للعمل الإيجابي ، فإذا تهيأت الأجواء الفكرية والنفسية والأخلاقية ولم تكن المرأة قادرة على الاستفادة منها ، فإن هذه الفرص تضيع ، وقد تعطي انطباعاً بأن المرأة ليست مؤهلة لأدوار قيادية في المجتمع.

لذلك كله ندعو إلى النهوض بالرجال والنساء ، وندعو الرجال والنساء إلى المراجعة المستمرة للمعلومات والتصرفات ، وهذا ما يرمي إليه مصطلح " **التوبة** ".